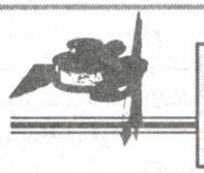

قضايا نقدية

كل ماحدث في معرض اللقاء الدولي الرابع لفنانات من العالم ، وماقيل ومايقال عن ما كان فيه من ايجابيات وسلبيات قسرت نفسي على تجاوزه والتصامم والتعامي عنه ايثاراً للعافيه ، بعد أن اتيح لي مصادفة ان اشهد ما لم استطع ان افهم كيف امكن حدوثه من ردود الافعال الانفعالية التي ادى اليها افتضاح خطأ معين فادح اصر معد المعرض عليه ....

ولكنني ، مع منتهى الاحترام للصفة الديبلوماسية ولكل ماتمليه بقايا عقدة «الخواجة» والصداقة المتينة التي تربطني بالاستاذ الفنان حسين عصمت المدرس وأحرص بحميمية على نموها واستمرارها ، لم استطع إلا أن اتساءل :

- ماهو موقع الفنان المدرس ، وهو رجل ، في لقاء فنانات اي اناث طالما ان تعبير «رجالات ونسوانون» الذي اطلقه تظرفاً الصديق الراحل المرحوم محمد حداد وعبث فيه بقواعد اللغة العربية عندما استخدم جمع المؤنث السالم للذكور وجمع المذكر السالم للاناث ، لما لايتجاوز التعبير من خلال نكتة ، عن «غلب» شلة من اصدقائنا في بيوتهم وهو ، كما هو متفق عليه امر غير معترف به شكلياً على الاقل ؟

دافع الفنان المدرس عن موقفه بهذا الصدد بإيضاح يتلخص في انه لم يشأ ترك الساحة لطرح طرف وحيد ، فقدم وجهة نظر «رجاليه» في تجمع نسائي اختار له موضوعاً ، كان هو الاخر قد أثار تساؤلاً :

- مع كل مايتمتع به الفنان المدرس من قدرة ابداعية متميزة خالصة من تأثير الحاجة الى متطلبات التسويق وتتوافر لها اوسع افاق الاطلاع والاختيار الحر للوسائل والاساليب والتقنيات والرؤية الشخصية الخاصة بحيادية أو من خلال موقف وهو بغض النظر عن موقعه الوظيفي ، عربي سوري يتحدر من اسرة حلبية ينتمي اليها الفنان الكبير الراحل فاتح المدرس الذي حقق حضوراً عالمياً مرموقاً دون ان يتخلى عن انتمائه وأصالته ... لماذا يصر على اعتماد الرؤية الاستشراقية للواقع المحلي ، خصوصاً وان المعارض التي تقام في سوريا لايجري اعدادها للسياح بغض النظر عن قلة أو كثرة اعدادهم وللجالية التي يمثلها او لأقرانه من اعضاء السلك القنصلي والعاملين فيه فحسب ؟

احالني الفنان المدرس بهذا الصدد الى دليل المعرض الذي اشار في تقديمه لاعماله به ، الى ان مايستهدفه عادة كمصور فوتوغرافي توثيقي اختار له هذه المرة تمثيل «وجهات نظر استشراقية بحتة عن المرأة الشرقية كانت مطروحة مع بداية انتشار التصوير الفوتوغرافي ولازالت آثارها باقية حتى ايامنا هذه وتضم اشكالاً من التعبير الاستشراقي ، بعضها واقعي والبعض الاخر مصطنع ضمن مشاهد وامكنة مسبقة التحضير استخدم فيها جسد المرأة كأداة مثيرة متممة للمشهد الجريء النابع من مخيلة بعض المصورين الغربيين» .

وأكد الفنان المدرس انه كان من اهداف اختياره للموضوع اظهار «الفبركة» التي تشوب معالجة اولئك المصورين له .

ومع انه كان من الصعب التوصل الى ذلك التبرير دون العودة الى شرح محكي او مكتوب تظل الصور دونه الى حد بعيد طرحاً يصعب التواصل معه بإيجابية ، لأن كون الفنان طليعة حضارية يستدعي بالمقابل احتواء اعماله روائز تسمح على اوسع نطاق باكتشاف الغاية منها دون الحاجة الى معينات اخرى ولأن الفنان المدرس ، كما سبق الالماح لايفتقر الى شيء من مقومات القدرة على تحقيق ذلك فإننا لانستطيع إلا أن نرجو أن يكون مستقبلاً أكثر انصافاً .

م . صفوان الجندي